ثم ماذا فعلوا بعد أن أغروا الرسول صلى الله عليه وسلم بقتالهم ؟ لقد نبذوا العهد وأعلنوا الحرب وأغلقوا دونهم أبواب حصونهم. وهل تكون الحرب بهذه الصفة ؟ أي أن يعتصموا بحصونهم ! ويفرضوا على أنفسهم الحصار حتى يستسلموا لحكم الرسول صلى الله عليه وسلم ؟

إن أمر بني قينقاع وما وقع منهم تجاه المسلمين وما نتج من ذلك من عقوبة لهم لا يزال في نظر أي باحث مدقق بحاجة إلى مزيد من الاستقصاء، ومن المؤسف أن المصادر المتوافرة للبحث حالياً لا تسعف في الخروج برأي دقيق حول ما حدث. ولابد أنهم قاموا بجرم كبير أكبر مما تذكره المصادر حتى استحقوا مصادرة الأموال وتجريدهم من السلاح وإجلائهم عن البلاد[1] بل قيل إن الرسول صلى الله عليه وسلم قد همّ بقتلهم[2]. فمن المحتمل أنه في أثناء إنشغال الرسول في معركة بدر وبعد عودته منها أدرك مدى خطورة مجاورة بني قينقاع للمسلمين في المدينة، وربما أنه قد بدر منهم في ذلك الوقت ما ينبئ عن ذلك إذ لا يستبعد أنهم كانوا عيناً للعدو على المسلمين يدلونه على عوراتهم ويفضحون أسرارهم كما كانوا يسعون للدس بين المهاجرين والأنصار، مما أدى إلى تأزم الأمر بين الفريقين

---

(١) الواقدي: المغازي، ١/١٧٧ - ١٧٨، وابن سعد: الطبقات، ٢/٢٩، والطبري: تاريخ الرسُل والملوك، ٢/٤٨١. ويذكر محمد غنايم عندما تحدث عن موقف بني قينقاع من الرسول صلى الله عليه وسلم: " كان المفروض أن يقف هؤلاء اليهود مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حربه ضد الكفار في غزوة بدر ولكنهم على العكس من ذلك أخذوا يروجون الشائعات ضد المسلمين... حيث نقلوا كافة المعلومات عن نوايا المسلمين وحركاتهم إلى قريش، كما أنهم قد تلقوا رسالة من قريش تحرضهم على قتل الرسول صلى الله عليه وسلم فأظهروا الحسد والبغي بعد انتصاره على المشركين "، ص ٥١٣.

(٢) الواقدي: المغازي، ١/١٧٧ - ١٧٨، وابن سعد: الطبقات، ٢/٢٩، والطبري: تاريخ الرسُل والملوك، ٢/٤٨٠.